تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 07- سورة البقرة | الأية 511

عبدالرحمن العجلان

الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله. ان الله هذه الاية الكريمة من سورة البقرة جاءت بعد قوله جل وعلا ومن اظلم ممن منع - 00:00:00

الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها. اولئك ما كان لهم ان ادخلوها الا خائفين. لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله. ان الله - 00:00:39

وواسع عليم ولله المشرق والمغرب. المشرق مشرق الشمس والقمر والمغرب مغرب وجاءت المشرقين رب المشرقين ورب المغرب والمراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء والله اعلم وقيل غير ذلك وجاء قوله تعالى ولله آآ رب المشارق - 00:01:10

المشارق والمغارب يعني مشارق الشمس في كل يوم لان لها في كل يوم مشرق ومغرب الشمس في كل يوم. لان لها في كل يوم مغرب. فجاءت في القرآن المشرق والمغرب والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب ولا منافاة بينهما - 00:01:57

اي ان المشرق والمغرب وما بينهما ملك لله تعالى. اي كل ما في الكون هو لله تعالى وما هو سبب نزول هذه الاية؟ قيل فيها اقوال ولله المشرق والمغرب قيل هذا تمهيد استقبال القبلة - 00:02:27

لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة يجمع بين الكعبة وبيت المقدس فيستقبلهما معا فيستقبل بيت المقدس ويجعل الكعبة بينه وبينه. لما هاجر الى المدينة عليه الصلاة والسلام - 00:03:03

حذر عليه استقبال القبلتين. لانه ان استقبل بيت المقدس صارت الكعبة خلفه. وان استقبل الكعبة صار بيت المقدس خلفه فاستقبل صلى الله عليه وسلم بيت المقدس تأليفا لليهود اول ما هاجر - 00:03:33

ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا. وكان يتمنى ويقلب وجهه في في السماء كما ذكر الله تمنيا بان يحول الى الكعبة شرفها الله واليهود لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم - 00:04:03

الى المدينة واستقبل بيت المقدس قالوا هو تبع لنا هذه قبلتنا ولما استقبل الكعبة شرفها الله قالوا لا تدري هذا اين يتوجه؟ توجه معنا اول الامر ثم ترك قبلتنا وتوجه الى غيرها - 00:04:33

فكان اليهود يتكلمون بغير علم وانما بعناد وغطرسة كلام اعتراض على النبي صلى الله عليه وسلم اينما توجه. فقال الله جل وعلا ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله. وقيل في - 00:05:03

سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الصحابة في سفر وكانت ليلة مظلمة فصلوا وبدأ كل واحد منهم يضع احجار ويستقبل ويصلي فلما اصبحوا رأوا انهم صلوا لغير القبلة. فجاؤوا يشتكون الى النبي صلى الله عليه وسلم الامر - 00:05:43

فانزل الله جل وعلا ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وقيل ان هذه الاية الكريمة نزلت لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي لما مات ملك الحبشة صلى عليه عليه الصلاة والسلام - 00:06:13

فقال قائل كيف يصلي عليه؟ وهو لم يصلي للقبلة. النجاشي فانزل الله جل وعلا ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وقيل هذه الاية الكريمة نزلت في النافلة. حال السفر. فيوصى - 00:06:44

صل المرء الى حيث توجهت به راحلته. اي جهة كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي النافلة على راحلته حيث ما

توجه راحلته. روي ابن عمر رضي الله عنه يصلي الى خلاف القبلة على راحلته - 00:07:14
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وعلى كل لا منافاة بين هذه الاقوال وهذه الاية والله اعلم تمهيد قبل تحويل القبلة الى مكة شرفها الله والله جل وعلا يعلم انه سيعترظ - 00:07:44
معترظون على هذا التوجه ويقول ابن عباس اول نسخ حصل في القرآن في القبلة اول نسخ جاء في القرآن نسخ القبلة لان القبلة كانت الى بيت المقدس فنسخت الى الكعبة - 00:08:22
والله جل وعلا رد على اعتراضهم قبل ان يعترضوا وقبل ان يوجه رسوله صلى الله عليه وسلم الى القبلة بقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها - 00:08:46
الى الان ما قالوا الله جل وعلا يعلم ما العباد قائلون قبل ان يقولوا سيقول السفهاء من الناس يعني ما يقوله هذا القول الا سفيه قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - 00:09:07
اذا قالوا كذا فقل لهم كذا. وهم سيقولون ولله المشرق والمغرب فاينما فثم وجه الله. والنبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة لان قبلة - 00:09:33
المدينة جهة الجنوب فيكون ما بين الشرق والغرب ما بين المشرق والمغرب قبلة ودل هذا على التوسع في باب القبلة لمن كان بعيدا عن الكعبة فمن كان قريبا من الكعبة - 00:10:04
فيتعين عليه محاذاة عين الكعبة لو انصرف عن عين الكعبة ما اصاب عين الكعبة ما صحت صلاته فليتنبه المرء لهذا واصعب ما تكون القبلة اشد ما تكون داخل المسجد الحرام. لانه انصرف عن عين الكعبة ما صحت صلاته - 00:10:29
واما من كان في مكة فقبلته المسجد ومن كان خارج مكة وقبلته مكة واستقبال الجهة يكفي لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة وقبلة النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي على عين الكعبة - 00:11:08
لانه دله عليها جبريل وقبلته في المسجد النبوي على عين الكعبة والقبلة في مشارق الارض ومغاربها الى الجهة يكفي فيها الجهة وكلما ابعد المرء توسعت الجهة فمن كان في المسجد قبلته الكعبة - 00:11:48
ومن كان في مكة قبلته المسجد ومن كان في خارج مكة فقبلته مكة ولله المشرق والمغرب واينما تولوا فثم وجه الله ونسخ القبلة من بيت المقدس الى الكعبة بالقرآن العظيم - 00:12:17
واستقبال بيت المقدس بالسنة قال العلماء ما في القرآن نص على استقبال بيت المقدس فدل هذا على نسخ السنة في القرآن في القبلة قبلة بيت المقدس يعني استقبال بيت المقدس بالسنة - 00:12:55
ونسخت السنة في القرآن وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطرة الايات ولله المشرق والمغرب. فاينما تولوا. اينما تصلوا قال بعض العلماء انه في هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل له سعة - 00:13:23
استقبال اي جهة بعد انتقاله من مكة وقبل ان يوجه الى المسجد الحرام الى الكعبة شرفها الله جعل الله له سعة يستقبل اي جهة ولله المشرق والمغرب. فاينما تولوا فثم وجه الله - 00:13:52
اينما تتوجه واينما تولوا فثم وجه الله قيل في هذا ان الله جل وعلا لما قال لعباده ادعوني استجب لكم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اين نتوجه قال فاينما تولوا فثم وجه الله - 00:14:20
يعني انك اينما توجه في دعائك فانت متوجه الى الله جل وعلا فاينما تولوا فثم وجه الله وثم الجهة التي وجهك الله اليها وليس المراد والله اعلم كما قال جمع من المفسرين المحققين ليس المراد الوجه الذي هو - 00:14:56
لله تبارك وتعالى تبارك اسم وجه تبارك اسم ربك ليس المراد هو اثبات الصفة الوجه لله تبارك وتعالى. وليس المراد الوجه الذي هو صفة. من صفات ذاته وانما المراد الوجهة - 00:15:33
الوجهة يقول توجه وجه كذا وجه الرياض وجه الشام يعني جهة الشام. كما نقل هذا عن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. فليس المراد هنا اثبات صفة الوجه لله تعالى وانما المراد الجهة التي يقبل الله جل وعلا بها - 00:15:59

اينما توجهت في صلاتك اينما توجهت في دعائك مخلصا لربك فثم الجهة التي امرك الله جل وعلا ان تتوجه اليها فاينما تولوا فسمى وجه الله. ثم الجهة التي يرضاها الله ويريدها ويقبل - 00:16:26

الدعاء والصلاة منكم ان الله واسع عليم واسع وسع خلقه جل وعلا بالغنى اغناهم وعند العرب كلمة السعة تطلق على الغنى. يقال فلان ذا سعة. يعني غني ان الله واسع يعني غني جل وعلا. يغني خلقه - 00:16:53

ويكفيهم بما لديه سبحانه ان الله واسع عليم. ناسب ختم هذه الاية بهذه الصفة العظيمة صفة العلم يعني انه ليس المراد التوجه شمال او جنوب او شرق او غرب وانما - 00:17:33

توجه القلبي والله جل وعلا عالم به مطلع عليه. الله واسع غني علي بما في ضمائر عبادة. اذا توجه العبد اليه مخلصا فالله يعلم ذلك ان كان توجه العبد الى ربه بغير اخلاص فالله يعلم ذلك. وفيها حفز - 00:17:57

للهمم باخلاص العمل لله تبارك وتعالى لانه عليم بما في القلوب سبحانه ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه. يعلم خائف الاعين وما تخفي الصدور. والله واسع عليم. ذو غنى سبحانه وتعالى فهو الغني - 00:18:27

وعليم بمن طوت عليه ظمائر العباد يقول تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله هذا والله اعلم فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين اخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم. يعني كانوا حريصين على الصلاة بمكة - 00:18:58

وعلى استقبال القبلة الكعبة شرفها الله. فاضطروا للهجرة. وهاجروا الى المدينة ففاتهم هذا الشيء فالله جل وعلا يسليهم بان لله المشرق والمغرب فاينما قل له فثم وجه الله. نعم وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة الى بيت المقدس والكعبة بين يديه. كانه يصلي - 00:19:30

بين الركن اليماني والحجر الاسود. فيكون بهذا الموقف الكعبة بين يديه وبيت المقدس امامه لان بيت المقدس شمال مكة. نعم فلما قدم المدينة وجه الى بيت المقدس ست عشرة شهرا او سبعة عشر شهرا - 00:20:07

ثم صرفه الله الى الكعبة بعد. ولهذا يقول تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله قال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس قال كان اول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك ان رسول الله - 00:20:30

صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان اهلها اليهود امره الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وبعتا يعني ستة عشر او - 00:20:51

سبعة عشر والبضع من الثلاثة الى التسعة يعني بثلاثة عشر اربعة عشر خمسة عشر ستة عشر الى تسعة عشر يقال بضعة عشر شهرا نعم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم. وكان يدعو وينظر الى السماء. الكعبة شرفها الله - 00:21:11

قبلة ابراهيم واسماعيل عليهما وكان يدعو وينظر الى السماء فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الى قوله فولوا وجوهكم شطرة فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. فانزل الله - 00:21:35

قل لله المشرق والمغرب وقال فاينما تولوا فثم وجه الله وقال عكرمة عن ابن عباس فاينما تولوا فثم وجه الله قال قبلة الله اينما توجهت شرقا او غربا وقال مجاهد فاينما تولوا فثم وجه الله حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلون - 00:22:01

اهل الكعبة وقال ابن جرير وقال اخرون بل انزل الله هذه الاية قبل ان يفرض التوجه الى ابى وانما انزلها ليعلم نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه ان لهم التوجه بوج - 00:22:30

وجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب. لانهم لا يوجهون وجوههم وجها من ذلك وناحية الا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية. لان له تعالى المشارق المغاربة وانه لا يخلو منه مكان كما قال تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم - 00:22:50

اينما كانوا قالوا ثم نسخ ذلك بالفرظ الذي فرض عليهم التوجه الى المسجد الحرام هكذا قال وفي قوله وانه تعالى لا يخلو منه مكان ان اراد علمه تعالى فصحيح فان علمه تعالى - 00:23:20

بجميع المعلومات. واما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه. تلطف من ابن كثير رحمه الله في التنبيه على جملة قالها ابن جرير رحمه الله ابو جعفر ابن جرير رحمه الله. قال لانه لا يخلو منه مكان. فابن كثير رحمه الله - 00:23:42

يعرف من حال ابن جرير وحسن معتقده رحمهم الله جميعا وانه ليس المراد لا يخلو منها مكان. تعالى الله. قال ان اراد او لعله اراد علمه. يعني ان علمه جل وعلا محيط بكل مكان. ما تخفى عليه حال مكان عن مكان - 00:24:14

واما ذاته ما قال وان اراد كذا قال واما ذاته تعالى فلا يصح ان يوصف بانه كائن في شيء من خلقه. وذات الباري جل وعلا اه فوق العرش. بائن من خلقه - 00:24:44

كائن من خلقه يعني لا يحويه مكان من المخلوقات. فسقف المخلوقات واعلى المخلوقات هو العرش والله جل وعلا فوق العرش كائن من خلقه لان السماوات السبع في في كف الرحمن كخردلة في كف احدكم. السماوات السبع والاراضين السبع كخرج - 00:25:11

في كف انسان. فجميع المخلوقات الله جل وعلا بائن منها ما يقال انه في السماوات الا على سبيل اذا قلنا انه في السماء يعني في العلو. هذا صحيح. في السماء محيطة به تعالى وتقدس لا. فسقف المخلوقات هو العرش - 00:25:47

لا شيء من المخلوقات فوق العرش. وفوق العرش الرب جل وعلا فهو بائن من خلقه فهو مستو على عرشه كما يعبر اهل السنة والجماعة مستو على خلقه بائن من خلقه. مستو على عرشه. بائن من خلقه. يعني بائن من الخلق. يعني ليس داخل - 00:26:18

في الخلق ولا الخلق داخلة في الله. تعالى الله فالعبارة من ابن كثير من ابن جرير رحمه الله موهمه عليه لانه لا لانه لا اخلو منه مكان ولم يقل العلم ولم يقل الذات فاذا اراد العلم فهو صحيح وان اراد الذات فليس - 00:26:51

بصحيح ولا يحمل انه قاله ابن جرير رحمه الله وانما لعله اراد ان يقول فلم يقل ذلك. نعم. وقال اخرون بل نزلت هذه الاية على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نم من الله تعالى ان يصلي المتطوع حيث توجه من شرق - 00:27:20

وهذا ثابت في الصحيحين الصلاة صلاة النافلة حينما حيثما توجهت الراحلة باي جهة يستقبلها المصلي يصلي. خرجت من مكة تريد الطائف تكبر ووجهك الى الطائف. خرجت من مكة تريد المدينة تكبر الصلاة ووجهك الى المدينة - 00:27:50

صلاة النافلة خاصة كان يصليها النبي صلى الله عليه وسلم على الراحلة حيثما واما الفريضة فكان عليه الصلاة والسلام ينزل ما كان يصليها على الراحلة ولا نقل انه صلى على الراحلة الا مرة واحدة. كان في حال سيل مطر ودحظ وما استطاعوا النزول فتقدم النبي - 00:28:20

وصلى الله عليه وسلم براحلته وصفوا خلفه برواحلهم وصلوا الفريظة على الرواحل. مرة واحدة لانهم فاستطاعوا النزول على الارض. واما النافلة فقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي - 00:28:50

على الراحلة حيثما توجهت به راحلته. ويستحب للمرء ان يفعل هذا اخذا بالسنة. لان هذا ثابت في السنة فاذا توجه الى اي جهة وان كانت الكعبة خلفه يكبر ويصلي. واذا كان متوجه الى جهة الكعبة في سيره - 00:29:10

فيكبر ويصلي. يعني ما يبالي اي جهة اتجه اليها في سيره. فيكبر ويصلي. فاذا صلى مثلا الفريضة في الارض ورغب ان يصلي النوافل على الراحلة على السيارة على الطائرة على اي وسيلة نقل هو - 00:29:30

عليها على حمار روي انس بن مالك رضي الله عنه يصلي على حمار متوجه الى غير القبلة النافلة. فقيل له في ذلك فقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك. فيستحب للمرء ان يأخذ بهذه السنة - 00:29:52

اذا توجه ولو كانت الكعبة خلفه في سفر فيصلي بعض النوافل والوتر والنوافل المطلقة وصلاة الضحى ونحو ذلك يصليها على على وسيلة نقله ايا كانت سيارة او طائرة او باخرة او حمار - 00:30:12

او بعير او فرس كله يصليها على الجهة التي هو متوجه اليها. نعم وقال اخرون بل نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذنا من الله ان يصلي المتطوع - 00:30:32

حيث توجه من شرق او غرب في سفره لما روي عن ابن عمر انه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ثبت في الصحيحين عن جابر وغيره - 00:30:52

رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم صلي حيثما توجهت به راحلته النافلة خاصة. نعم يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ويتأول هذه الاية فاينما تولوا فثم وجه الله - 00:31:12

وقال اخرون بل نزلت هذه الاية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلوا عليه فلم يعرفوا شطرها يعني جهتها. لم يعرفوا جهة القبلة. في الليل ظلماء ولا نجوم ولا - 00:31:32

علامات فصلوا واجتهدوا وصلوا. ثم تبين لهم فيما بعد انهم صلوا لغير القبلة. وآآ هنا يفرق بين الحظر والسفر. فاذا اجتهد المرء في السفر في صلاة الفريضة وصلى ما عرف القبلة اجتهد وصلى. ثم تبين له فيما بعد - 00:31:52

انه صلى لغير القبلة فصلاته صحيحة. لانه اتقى الله ما استطاع. والحذر يختلف رجل دخل بيتا لا يعرفه او في فندق او في استراحة او في مكان ما مثلا مع عرف القبلة لكن اجتهد - 00:32:22

توقع ان القبلة هكذا فصلى. ثم تبين له انه صلى لغير القبلة فصلاته غير صحيحة ويجب عليه ان يعيدها. لما؟ نقول هناك فرق بين الحظر والسفر المسافر اجتهد فصلى اتقى الله ما استطاع. والله جل وعلا يقول فاتقوا الله ما استطعتم ويقول - 00:32:49

جل وعلا لا يكلف الله نفسا الا وسعها. لكن الذي في البلد ما اتقى الله ما استطاع. تساهل وقع القبلة هكذا وصلى. ثم جاءه غلام صغير. او كبير او اي شخص لا يا اخي القبلتك هذه غلط - 00:33:17

نقول هذا ما اتقى الله واستطاع. لو اتقى الله ما استطاع لسأل. ينزل ويسأل يخرج عند الباب ويسأل وين القبلة؟ كل واحد يدله على القبلة في بلاد المسلمين. وفي غير بلاد المسلمين ممكن يسأل عن الشرق والغرب - 00:33:37

يعرف انه اذا كان في المشرق فالقبلة غرب. واذا كان في المغرب فالقبلة شرق. وهكذا فمن صلى لغير القبلة في الحضر لزمه الاعادة. ومن صلى الا لغير القبلة في السفر فصلاته صحيحة ولا اعادة عليه - 00:33:57

فلم يعرفوا شطرها فصلوا على انحاء مختلفة. فقال الله تعالى لي المشارق والمغارب فاين غلي فاين وليتم وجوهكم فهناك وجهي وهو قبلتكم فيعلمك قم بذلك ان صلاتكم ماضية. لما روي عن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه - 00:34:24

وسلم في ليلة سوداء مظلمة. فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الاحجار فيعمل مسجدا يصلي فلما ان اصبحنا اذا نحن قد صلينا الى غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة. فانزل الله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم - 00:34:56

وجه الله وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فاخذتهم ظبابة فلم يهتدوا الى القبلة لغير القبلة ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس انهم صلوا لغير القبلة. فلما جاءوا الى رسول الله - 00:35:26

صلى الله عليه وسلم حدثوه فانزل الله تعالى هذه الاية ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا وجه الله يعني روي عدة اسباب لنزول هذه الاية الكريمة ولا منافاة بينها والحمد لله نعم - 00:35:49

قال ابن جرير ويحتمل فاينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهناك وجهي استجب لكم دعاءكم يحتمل ان المراد بها التوجه في الدعاء قال مجاهد لما نزلت ادعوني استجب لكم. قالوا الى اين؟ فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله - 00:36:10

ومعنى قوله ان الله واسع عليم يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والافضل. واما قوله عليم فانه يعني عليم ما يغيب عنهم منها شيء ولا يعزب عن علمه بل هو بل هو بجميعها عليم. والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:36:38

وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:37:12